الكلمتان الأخيرتان

عن الانتخابات في لبنان!

مع صدور هذا العدد، تدخل «الانتخابات» النيابية اللبنانية فصولها الأخيرة في الشمال وبيروت والجنوب. ويبدو أنّ انتخابات جبل لبنان قد أرهصت بما ستكون عليه نتائج الفصول الأخيرة: استبعاداً للمعارضة على اختلاف صورها، وفي كلّ المناطق، وتكريساً لتحالف السلطات وبقايا ميليشيات الحرب الأهليّة.

وستحتاج الانتخابات إلى وقفة مفصّلة، نأمل أن نخصّص لها صفحات طويلة في العدد القادم من **الآداب**. ولكنّ هذا لا يمنع من أن نسرد دلالات ما حدث مؤخّراً:

أ – أبرزت الانتخابات أن التسلّط في لبنان لا دين لهُ. فقد «انتصر» تحالف الرأسمال «السنّي» القادم على جرّافات تحمل عنواناً مضلِّلاً (هو «الإنماء والإعمار»)... وقادة المجازر بحق الفلسطينيين والمسلمين والمسيحيين في مختلف مخيّمات لبنان ومناطق الجبل، أيّاً تكن هويّة هؤلاء القادّة المذهبيّة والدينيّة... والأحزاب التي كانت يوماً تُقاتل المشروع الطائفي السلطوي فصارت جزءاً منه ومنظِّرَة لـ«الإصلاح» من الداخل!

ب – تلطّى هذا التحالف بـ«صداقة مزعومة» لسوريا، فحجب معظم الأصوات المعارضة والشريفة. لكنّنا نشك بقدرة هذا التحالف على استثمار هذه الصداقة في صدّ أيّ عدوان إسرائيلي وشيك، ولاسيّما بعد استبعاد المقاومة وتهيئة ضربة أخرى للمعارضة في بيروت والجنوب والشمال!

ج – أظهرت النتائج أنّ طريق «المقاطعة» (التي انتهجها ميشال عون وغيره) غير سليمة، بل هي مضرّة ببعض الرموز المعارضة التي قرّرت المشاركة في الانتخابات. ولكنّ النتائج أظهرت أيضاً أنّ طريق «المشاركة» بهدف التغيير ساذجة. فالمشاركة، في وجه تحالف السلطات، وفي وجه التزوير، قد ترتدّ سلباً على المعارضة: فإن هي فشلتْ في الانتخابات وعارضتْ بعد فشلها رَمَاها النّاسُ بالنفاق، وإنْ هي نجحتْ في الانتخابات فإنّها في معظم الحالات فاشلة في تحقيق المطالب الجماهيرية من داخل النظام (على نحو ما بيّنت تجربةُ المعارضة الداخلية منذ انتخابات ٩٢).

ولهذا فعلى المعارضة، السياسية والثقافيّة، أن تفكّر بعد انجلاء ضباب الانتخابات، في أسلوب جديد، يتجاوز ثنائية «المشاركة/ المقاطعة»، ليعود إلى الجمهور «الصحيح والقادر» (بلغة تشومسكي) على إحداث التغيير وردع السلطة ورموزها.

س.س.إ

الطيب صالح

إذا لم تعد الجامعات تستطيع أن تمارس حقّها في اختيار كتب التدريس أو المطالعة، وإذا أصبحت تقبل الخضوع لأحكام الذين لا يملكون حق تقرير المراجع العلمية والثقافية التي يُنصح الطلاب بالعودة إليها، فمعنى ذلك أنّ مستوى هذه الجامعات قد انحدر انحداراً شنيعاً واستقال من مهماته ومن دوره في الثقافة والتثقيف.

إن في منع كتاب الطيب صالح **موسم الهجرة إلى الشمال** من التدريس في السودان إنذاراً بأنّ جميع الكتب الرائعة التي تشكل طليعة الآثار الرائدة في نهضتنا الإبداعية معرّضة للقمع والمنع. وقد لا يكون هذا مستغرباً في هذه الفترة التي تنحدر فيها الأنظمة العربية، على جميع المستويات، إلى مستوى الانحطاط. على أنّ ذلك يزيدنا إصراراً، نحن المثقفين الملتزمين، على محاربة هذا الانحطاط مهما كلّفنا ذلك من تضحيات.

س.إ